أساسيات الإعراب
مفتاح الطالب إلى الإعراب المبسط

د/عادل يوسف أبو غنيمة
مدرس الدراسات النحوية بقسم اللغة العربية
كلية اللغات والترجمة
جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا

2013 م

ملخص

لا شك أن ظاهرة الإعراب من اظهر وأقوى ميزات وخصائص اللغة العربية. ولئن كانت هذه الظاهرة من مميزات اللغات السامية بشكل عام، فقد فُقدت في بقية اللغات تقريبا ، فتلاشت في الآرامية ولهجتها السريانية ، وصارت ضئيلة في العبرية القديمة والبابلية القديمة أيضا ؛ ذلك أن البابلية بدأت بثلاث حركات اختصرت بعد ذلك إلى اثنتين ، على حين احتفظت العربية بحركاتها المختلفة على أواخر كلماتها ، وهي الفتحة والضمة والكسرة والسكون ، وهذا ما جعل كثيرًا من علماء اللغات اليوم يرون العربية أقدم اللغات السامية ، وذلك لبقاء عنصر الإعراب فيها ، الذي يعبر في العربية عن مراد المتكلم الذي يدور في ذهنه من فاعلية ومفعولية ونسبة بين شيئين (إضافة) وما إليها.

والإعراب في اللغة : هو الإفصاح والتبيين ، يُقال: أعرب الرجلُ، إذا أفصح القول. ،وقد رُوِي عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال "أعربوا القرآن ."

أي : اتلوه بإفصاح وتبيين .

إما في الاصطلاح فهو: أثر ظاهر أو مقدّر يجلبه العامل في أخر الكلمة . وقد أطلق العلماء تسمية الإعراب على النحو ، فهو الإبانة عن المعاني للألفاظ.

والإعراب وإن كان ظاهرة قديمة في لغة العرب فإن كتب اللغة تذكر أن أول من رصد هذه الظاهرة وسجَّلها هو أبو الأسود الدؤلي (ت 68هـ) حين استدعاه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، عندما بلغه أن أحد قرَّاء القرآن الكريم لحن (أخطأ) في قراءة إحدى الآيات الكريمة، وهي قوله تعالى: **(وَأَذَانٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) سورة التوبة : الآية 3.** قرأها الرجل: ورسولِه بكسر اللام ، ولا يخفى ما ترتب على هذا الخطأ الإعرابي من اختلاف كبير في المعنى، حين يُفهَم من تلك الكسرة أن كلمة (رسوله) معطوفة على كلمة (المشركين) ، وحاشا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يبرأ منه ربه عزَّ وجلَّ. وحين سمع الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بذلك انزعج بشدة وقال: ما كنت أظن حال الناس يصل إلى هذا الحدّ. واستدعى عمر (رضي الله عنه) أبا الأسود ليضع حدًّا لتكرار مثل هذا اللحن في القرآن الكريم، فماذا فعل أبو الأسود إزاء هذا الخطر الكبير؟

لقد قام أبو الأسود بما سُمِّي بـ (نَقْط الإعراب) وهذا النقط كان يهدف إلى تمييز حركات الحروف من ضم وفتح وكسر، وكان يوضع ذلك بالمِداد أي الحِبْر الأحمر إما بين يدي الحرف أو تحته أو فوقه .

ويقال: إن أبا الأسود اتخذ كاتبًا فطنًا حاذقًا من بني عبد القيس، وقال له: إذا رأيتني قد فتحتُ شفتيّ بالحرف، فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت شفتي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت شفتي فاجعل النقطة من تحت الحرف، فإن أتبعت شيئًا من ذلك غُنّة (تنوينًا) فاجعل مكان النقطة نقطتين

ولم تكن هذه الحادثة التي تتعدد الروايات فيها هي الأولى من نوعها، يقول أبو الطيب اللغوي في كتابه (مراتب النحويين):

" واعلم أنَّ أول ما اختلّ من كلام العرب وأحوج إلى التعليم: الإعراب، لأن اللَّحْنَ ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي – صلى الله عليه وسلم - فقد رُوي أن رجلًا

لحن بحضرته فقال: " **أرْشِدُوا أخاكم فقد ضلّ** ". وقال أبو بكر: " **لأَن أقرأ فأَسْقُط أحبُّ إليَّ من أن أقرأ فألحن** ".

وبتوالي الأيام، انتشر اللحن حتى أصاب الخاصة بالعدوى نفسها ، حتى صاروا يعدّون من لا يلحن ؛ (وذلك لكثرة اللاحنين) ، وانتقل هذا الأمر من الحاضرة إلى البادية. قال الجاحظ (ت :255 هـ) : " وأول لحن سمع بالبادية: هذه عصاتي " بدلًا من : " هذه عصايَ " .

وعلى الرغم من أنَّ مهمة الإعراب الأولى هي الإبانة عمَّا في النفس من المقاصد فقد عُنِي النحاة بمعرفة أحوال أواخر الكلمة من إعراب وبناء وتركوا أو أهملوا ما تشير إليه تلك العلامات من التنوع في المعاني واختلافٍ في المقاصد، واهتموا بمباحث الإعراب أكثر من اهتمامهم بمباحث التركيب ،.

ويبدو أنَّ ظهور اللحن في إعراب اللغة قبل ظهوره في مسائل التركيب -كما سبق أن بيَّنْت – قد دفعهم إلى الإطالة في تعليلاتهم وتفريعاتهم للعلل، ،والغوص في الأسباب وبيان الخطأ و الصواب حتى أضحوا أمام ركام من المسائل التي اختلفوا فيها.

ومع هذا الاختلاف الواضح في المسائل النحوية ، فقد ظلت علاقة الإعراب بالمعنى ودلالته عليه من المسائل المهمة التي نالت حيزا كبيرًا من اهتمامهم، وذلك بتوجيه آيات القران الكريم بحسب تلك المعاني ، وتوجيه كثير من المسائل النحوية على وفق هذا التطور فيما يدور في مجالس النحاة ومناظراتهم وشواهد قاطعة الدلالة على أنهم كانوا يعلمون أن الإعراب قد يوجه المعنى ويؤثر فيه؛ إذ كانوا يربطون به بعض المسائل الفقهية وأحكام التشريع.

ومثال هذا قوله تعالى: (**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**) سورة فاطر، الآية : 28.

إن الإعراب كان عاملا مهمًّا في تكوين الجملة، بل كان عاملا مساعدًا في إنشاء الجملة بأوجه عدة، ،ولو فُقِد الإعراب للزم أن تكون الجملة على نظام واحد، يقول الزجاجي (ت 237/هـــــــــــ) :

"جعلوا الحركات دليلا عليها ، ليتسعوا في كلامهم ، ويقدموا الفاعل إذا أرادوا ذلك ، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعنى "

واخلص من كل ما تقدم إلى أن العرب ورثوا لغتهم مُعْرَبة، للعرب في ذلك ما ليس لغيرهم يفرقون بالحركات وغيرها بالمعاني. "

أشار علماء العربية إلى أهمية الإعراب في الإفصاح عن المعنى، وهم إنما اختاروا لهذه الظاهرة مصطلح الإعراب الذي يدلّ على الإبانة. يقول ابن فارس (395هـ) في «الصاحبي»: «فأمَّا الإعراب فبه تميز المعاني ويوقَف على أغراض المتكلّمين. وذلك أنّ قائلا لو قال: «ما أحسن زيد» غير مُعرَب،... لم يُوقَف على مراده. فإذا قال «ما أحسنَ زيدًا»، أو «ما أحسنُ زيدٍ»، أو «ما أحسنَ زيدٌ»، أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده». وقال: «من العلوم الجليلة التي خُصَّت بها العرب الإعرابُ، الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يُعرَف الخبر الذي هو أصل الكلام. ولولاه ما مُيِّز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجّب من استفهام ».

ولقد كان لأصول الإعراب ومعاييره الدقيقة أبرز الأثر خلال العصور التي اختلط فيها العرب بالأعاجم، وعصمت الألسنة من الزلل.

ونحن لا نجد الكثير من الإعراب في اللغات الأخرى، باستثناء السامية القديمة، لكنّ فروعها الأخرى غير العربية خرجت تدريجيًّا من الإعراب. يذكر الباحث العراقي د.إبراهيم السامرائي (1923- 2001) في «دراسات في اللغة» أنّ البابلية القديمة عرفت الحركات الثلاث في النصوص التي ترتد إلى عهد حمورابي، ثمّ تقلّصت إلى حركتين: الضمة رفعًا، والفتحة نصبًا وجرًّا، واقتصرت بعدُ على الكسرة الممالة.
وفي المقابل أجمع علماء اللغة العربية، منذ قدم عهودهم، على أنّ الإعراب متأصِّلٌ فيها.